بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الخامس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

فقد بدأنا -أيها الإخوة الأكارم- ببعض المقدِّمات في دراسة الإيمان، وهي في تقديري مقدِّمات مهمَّة ينبغي علىٰ طالب العلم أن تكون منه علىٰ بال، وأن يكون علىٰ علم بها وهو يتعلَّم الإيمان ويدرُس مسائله.

وقد مرَّ معنا في الليالي الماضية شيء من المقدمات المهمة حول هذا الموضوع العظيم الذي هو أجلُّ الموضوعات وأعظمُها وأَولاها بالعناية والاهتمام، والله جل وعلا يقول: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[البقرة:١٨٩]، ولا ريب أن باب الإيمان العظيم وتفاصيله المهمَّة ينبغي علىٰ طالب العلم أن يدخلها دخولًا صحيحًا مؤصَّلًا مبينًا علىٰ قواعد سليمة وأسسٍ متينة علىٰ ضوء كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ، وفي هذه الليلة نواصل ما بدأنا به في ذكر بعض المقدِّمات المهمَّة لدراسة الإيمان.

قد كنَّا عرفنا فيما سبق ما يتعلَّق بأهمية الإيمان وأنَّه أصلٌ عظيم وأساس متين يقوم عليه الدِّين، وعرفنا شيئًا من فضائله، وقليلًا من ثمراته المباركة وعوائده الحميدة علىٰ أهله في الدنيا والآخرة.

وعرفنا كذلك أهميةَ دراسة الإيمان؛ بل ضرورة دراسة الإيمان من خلال كلام الله تعالىٰ، وأحاديث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وعَرضتُ لكم عرضًا مفيدًا لبعض الأحاديث التي ينبغي أن نعتني بها في دراسة الإيمان:

حديثَ سفيان.

وحديث جبريل.

وحديث أبي هريرة المعروف بحديث الشعب.

وحديث وفد عبد القيس.

وحديث أبي هريرة «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

وذكرت لكم أنَّ هذه الانطلاقة المباركة والسير النَّافع في دراسة الإيمان علىٰ ضوء كلام الله وكلام

رسوله ﷺ يعود علىٰ صاحبه بالعوائد الحميدة والفوائد السديدة المبنيَّة علىٰ تأصيلٍ صحيح، وعلىٰ نورٍ من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وهيهات ثم هيهات أن يُعرف الإيمان من غير كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ، وقد قال الله لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورىٰ]، والشاهد قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾، فالإيمان والعلم بتفاصيله وما يتَّصل به ولوازمُه ومتعلقاته وأحكامه كلُّ ذلك سبيل العلم بها وطريقُ معرفتها: هو كتاب الله العزيز وسنَّةُ رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وإذا نظرتم في تاريخ سلفنا المجيد وسيرتهم المباركة ونهجهم السَّديد في دراسة الإيمان تجدون أنَّه بُني علىٰ هذا الأساس وأقيم علىٰ هذا المسلك بالتعويل علىٰ كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد رأيتم مَثلا مباركًا في هدي ذلك الوفد المبارك وفد عبد القيس الذي جاء إلىٰ النبي ﷺ ليتعلَّم منه وليأخذ عنه وليطرح عليه سؤالاته في الإيمان وفي الدِّين؛ ليكون أخذ الدِّين عن كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

فهذا الأمر الذي أشرتُ إليه فيما سبق وأعدت تلخيصًا له الآن هو حقيقةً أهمُّ ما ينبغي أن يكون علىٰ بال طالب العلم وهو يعتني بهذا الباب العظيم باب دراسة الإيمان.

وكان ممَّا مر علينا حديث جبريل، ومر معنا في آخر الحديث قول النبي ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» وهذه الكلمة من رسولنا صلوات الله وسلامه عليه تؤكِّد هذا المعنىٰ الذي ندور حوله وندندن عليه، يقول: «**أتاكم يعلِّمكم دينكم**»، فتعلُّم الدِّين يكون بهذه الطريقة: بسماع أقوال النبي عليه الصلاة والسلام، سماع إجاباته، سماع أسئلته والأسئلة التي تُطرَح عليه، سماع فتاواه، معرفة الدين من خلال هدي النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد كان في زمانه تَفِد عليه الوفود ويأتيه الناس من هنا وهناك لطرح السؤالات وطرح الاستفتاءات ومعرفة دين الله تبارك وتعالىٰ عن الرسول الكريم ﷺ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم يفرحون غاية الفرح عندما يقدم علىٰ النبي ﷺ قادمٌ ليسأله؛ لأنهم يجدون في السؤال والجواب ما يبيّن لهم الطريق القويم والمسلك المستقيم.

وقد كتب أحد النابهين من أبناء الشارقة رسالةً علمية نوقشت في الجامعة الإسلامية بعنوان: «فتاوىٰ

النبي ﷺ في العقيدة»، في مجلد كبير جمع فيها ما كان من هذا القبيل، مَن يأتي إلىٰ النبيِّ ﷺ ويسأله عن مسائل تتعلق بالاعتقاد، فكانت أحاديث كثيرة وسؤالات عديدة، وهي تتضمَّن فوائد كبيرة جدًّا في معرفة دين الله عزوجل ومعرفة الإيمان من خلال فتاوىٰ الرَّسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وهي أسئلة متنوِّعة منها ما يتعلَّق بالتوحيد، ومنها ما يتعلق بأمور الإيمان الأخرىٰ؛ كالإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر وغير ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يفرحون غاية الفرح عندما تُطرَح مثل هذه السؤالات علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام.

ونحن كذلك ينبغي أن نغتبط ونفرح عندما نقف علىٰ هذه السؤالات وجوابها؛ لأن فيها بيان دين الله وتعليم الاعتقاد ومعرفة ما ينبغي للمسلم أن يتعلَّمه.

وكانوا علىٰ مستويات -مَن يطرحون هذه الأسئلة- منهم أعراب ومنهم غير ذلك، وهي في غاية ما يكون من الأهمِّية في دراسة الإيمان.

إضافة إلىٰ ما أشرتُ إليه من أحاديث النبيِّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه العديدة التي تبيِّن الإيمان، فالذي يريد دراسة الإيمان يبني دراسته علىٰ مثل هذا المسلك الصحيح من خلال آيات كتاب الله العزيز وأحاديث النبيِّ الكريم ﷺ، وأهل العلم في القديم والحديث سهَّلوا علىٰ طلاب العلم المهمّة وهوّنوا عليهم السبيل، فأفردوا كُتبًا خاصَّةً بالإيمان جمعوا فيها الآيات والأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ حتىٰ تكون قريبةَ المتناول سهلةَ الاطِّلاع في مكان واحد تقف عليها أو علىٰ كثيرٍ منها مجتمعةً، فتتعلَّم الإيمان من خلال كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

ثم إنني أنبّه هنا وقد مرَّ معنا حديثُ جبريل إلىٰ: تعلُّم الإيمان من خلال هذا الحديث، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**هذا جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم**»، وجبريل جاء علىٰ صورة أعرابي مستفتٍ، علىٰ هيئة غريبة تعجّب الصحابة منها؛ لأنه جاء وثيابه بيضاء وشعره أسود وليس علىٰ بدنه ولا علىٰ ثيابه غبار، وليس عليه أثر المسافر، وهذا من أغرب ما يكون في زمانهم، وأما في زماننا فليس بغريب، فكان من أغرب ما يكون في زمانهم أن يوجد بينهم من ليس أهل البلد وممن لا يعرفونه ومع ذلك لا يظهر عليه أمارات السَّفر، يقول عمر رضي الله عنه: «**بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منَّا أحد، حتىٰ إذا جلس إلىٰ النبي ﷺ أسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه ووضع كفيه علىٰ فخذيه**»، هذا سائل وهو في الحقيقة معلِّم «**أتاكم يعلمكم دينكم**»،

ولاحظ هنا إذا أردت أن تتعلم الدِّين، فبين يدي تعلُّم الدِّين أدب ينبغي أن تتحلىٰ به وتتصف به، وكلما زاد فيك أدب تعلم الدين زاد حظُّك ونصيبُك من الدِّين، وليكن منك علىٰ بال قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**هذا جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم**».

«**يعلمكم دينكم**»: من حيثُ أصولُه وفروعُه، ومن حيث أيضًا طريقة تعلُّمه وما ينبغي أن يتحلىٰ به مَن يتعلم الدِّين من آداب مباركة وأخلاق حميدة ومعاملات كريمة وأدب مع المعلِّمين، حتىٰ يكون له حظٌّ ونصيبٌ من العلم، ويكون بعيدا من الفظاظة والغِلظة والجفاء وسيّئ الأخلاق ورديئها، ويكون كذلك بعيدًا عن الملل والضجر وضيق العَطَن وقلة الصبر ونحو ذلك مما يقطع علىٰ الإنسان سيره ويعوقه في تحصيله.

فجبريل جاء إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الهيئة وبهذه الصفة وبهذا الأدب الجم والخلق العظيم لنتعلَّم كيف يكون تعلُّمنا للدِّين، وكيف تكون دراستنا له، وكيف أنَّنا ينبغي أن نكون علىٰ حُسن خلق وجميل أدبٍ وحلية نتحلىٰ بها، ألا وهي حلية طالب العلم، وحلية طالب العلم: هي أدبه، خُلُقُه، جمالُ سلوكه، جمالُ آدابه، حسنُ معاملته، فهذه الأمور إذا عَظُم حظٌّ طالب العلم منها عظم حظه من مسائل الدين ومن معرفة ما يتعلق به.

ثم بدأ يسأل والصحابة رضي الله عنهم يستمعون إلىٰ السؤال وإلىٰ الجواب، يستمعون بنهمة وعطش ورغبة شديدة في تحصيل الفائدة، قال: «أخبرني عن الإسلام»، ثم قال: «أخبرني عن الإيمان»، ثم قال: «أخبرني عن الإحسان»، ثم سأل عن أشراط الساعة، وفي كل ذلك يجيبه صلوات الله وسلامه عليه والصحابة رضي الله عليهم يستمعون ويتعلمون.

في الإسلام قال: «**أن تشهدَ ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ بيت الله الحرام**»، فذكر هذه المباني الخمسة للإسلام، وقد سماها عليه الصلاة والسلام مباني في حديث ابن عمر قال ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادةِ ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ بيت الله الحرام**».

وانظروا فقه أئمتنا رحمهم الله عندما ألَّفوا في الأحكام، في «الصحيحين» والسنن وكتب الفقه، رتبوها علىٰ ترتيب هذه الأحاديث، الصلاة ثم الزكاة وهكذا، رتبوها علىٰ ترتيب هذه الأحاديث وبدؤوا يتوسعون في بيان التفاصيل المتعلقة بكل حكمٍ من هذه الأحكام، التفاصيل المتعلقة بالصلاة من شروط

وأركان وواجبات ومستحبات، ثم ما يتعلق بالزكاة، ثم ما يتعلق بالصيام، ثم ما يتعلق بالحج، وهكذا لأن هذه الأحديث هي البناء والركائز التي منها المُنطلَق وعليها المعوَّل في التأصيل والتأسيس. فأجابه بهذه المباني الخمسة، فلمّا سمع جبريل الجواب وسمعه الصحابة، قال جبريل: «صدقت»، وهذا عندهم من أغرب ما يكون، سائل يسأل ثم لما يجيب عليه الصلاة والسلام يقول للسائل: صدقت! فالصحابة تعجبوا، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فعجبنا له يسأله ويصدقه**»، يعني: يصدِّق أجوبته.

ثم سأل عن الإيمان، قال: «أخبرني عن الإيمان»، قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقد خيره وشره**»، فعرَّف الإيمان بأصول الإيمان الستة، فقال جبريل: «صدقت»، قال: «**أخبرني عن الإحسان**»، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: «**أخبرني عن الساعة**»، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: «**فأخبرني عن أماراتها**»، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، ثم انطلق -ذهب السائل-، فلبثتُ مليًّا -يعني: انتظرتُ قليلًا-، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

فهذا الحديث فيه تعليم للدين، وإذا جمعت بين ما خُتم به الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» وبين ما ذُكر في الحديث من بيانٍ للإسلام والإيمان والإحسان تدرك من خلال ذلك: أن ديننا الدين الإسلامي الحنيف علىٰ مراتب ثلاث بُينت في الحديث:

- مرتبة الإسلام.
- ومرتبة الإيمان.
- ومرتبة الإحسان.

وبيْن هذه المراتب تفاضل، أعلىٰ هذه المراتب: مرتبة الإحسان، ثم يليها مرتبة الإيمان، ثم يلها مرتبة الإسلام، وأنت هنا عندما تعرف أنَّ في الحديث بيانًا لمراتب الدِّين، تتساءل عن كلِّ مرتبة ما هي؟ أو ما حدُّها؟ بمعنىٰ: مَن المُحسن؟ ومَن المؤمن؟ ومن المسلم؟ والله عَزَّوَجَلَّ ذكر الأقسام في القرآن كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وكما في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر:٣٢]، فالدِّين مراتب، وأهله ليسوا فيه علىٰ درجة واحدة، ولهذا فإن من فوائد حديث جبريل

العظيمة: أنَّه يدلُّ علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، وعلىٰ تفاضل أهله فيه، وأنَّ أهله ليسوا علىٰ درجة واحدة؛ بل متفاضلون، منهم من هو في مرتبة الإحسان وهي الرُّتبة العلية، ومنهم من هو في مرتبة الإيمان وهي دون مرتبة الإحسان، ومنهم من هو في مرتبة الإسلام وليس بعد الإسلام إلا الكفر.

وقد شبّه أحد العلماء المتقدِّمين هذه المراتب الثلاثة بدوائر ثلاثة، دوّر ثلاث دوائر، كل دائرة أكبر من الأخرىٰ وتحيط بها، فجعل الدائرة الصُّغرىٰ دائرة الإحسان، ثم الدَّائرة التي هي أوسع منها دائرة الإيمان، ثم الدَّائرة التي أوسع منهما دائرة الإسلام، بمعنىٰ أنَّ من يدخل الدِّين أوَّل ما يدخله يكون في أدنىٰ رُتَبِه وهي رتبة الإسلام، فإذا تمكّن الإيمان من قلبه وتمكَّن الدِّين عنده يرتفع منها ويعتلي إلىٰ درجة الإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ [الحجرات:١٤] ادّعوا رتبة ما وصلوها ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ فماذا كان الجواب؟ ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾، فالدين رُتَب ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾، متىٰ يصل درجة الإيمان؟ قال: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾، هذا يوضح ما بين هاتين الرُّتبتين من تفاوت، رتبة الإسلام ورتبة الإيمان، وفي «الصحيحين» من حديث سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أعطىٰ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطاءً، أعطىٰ أناسًا– وترك شخصًا كان أعجبهم إليّ، فقلت: يا رسول الله؛ لم تعطِ فلانًا وإني لأراه مؤمنًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «أو مسلمًا»، قال: فسكتُّ، ثم أدركتني شفقة عليه فقلت: يا رسول الله؛ لم تعطِ فلانًا وإني لأراه مؤمنًا، فقال: «أو مسلمًا» وهذا فيه تنبيه من النبي عليه الصلاة والسلام إلىٰ الفرق بين هاتين الرتبتين، رتبة الإسلام ورتبة الإيمان، كذلك الآية التي قرأتها عليكم من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[الأحزاب:٣٥]، فيها دلالة علىٰ الفرق بين هاتين الرتبتين.

فمن دخل في هذا الدِّين يكون في رتبة الإسلام، فإن تمكّن الإيمان منه ارتقىٰ إلىٰ درجة الإيمان، فإذا زاد في إتقانه وإجادته وإحسانه في عبادة الله ارتقىٰ إلىٰ درجة الإحسان.

ومن خرج من دائرة الإحسان يخرج منها إلىٰ الإيمان، ومن خرج من دائرة الإيمان يخرج منها إلىٰ الإسلام، ومن خرج من الإسلام فما بعد الإسلام إلا الكفر، وهذا الذي ذكرتُ لكم يوضح لكم قول أهل العلم: "**كلُّ محسنٍ مؤمنٌ مسلمٌ، وكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا، وليس كل مؤمن محسنًا**"؛ لأنها درجات ورُتب، فمن كان في رتبة الإحسان وهي الرُّتبة العليَّة فهو داخل في رتبة الإيمان ورتبة الإسلام، ومن كان في رتبة الإيمان فهو داخل في رتبة الإسلام لأن كل مؤمن مسلم، وليس

العكس.

وهنا يأتي التَّساؤل الذي طرحته قبل قليل: **من المسلم؟ ومن المؤمن؟ ومن المحسن؟**

الجواب علىٰ هذا السؤال في الحديث نفسه، النبي عليه الصلاة والسلام بما عرّف الإسلام في حديث جبريل؟ قال: «**الإسلام: أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج بيت الله الحرام**»، هذا هو الإسلام، انظر هذا الحديث مع قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: «من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا».

إذن من هو المسلم؟ من يجيب علىٰ هذا السؤال؟ المسلم: من أتىٰ بأعمال الإسلام الظاهرة.

ولاحِظ هنا عندما نقول: من المسلم؟ إما أن نكون نقصد به من المسلم عندنا نحن، من الذي يُحكم عليه بالإسلام؟ فالذي يُحكم عليه بالإسلام هو من أتىٰ بهذه الأعمال الظاهرة، يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، من صلىٰ صلاتنا، واستقبل قبلتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا؛ لأن لنا الظاهر، فمن أتىٰ وأظهر الإسلام فهو عندنا مسلم ويعامل معاملة المسلم؛ لأن لنا الظاهر، والله تبارك وتعالىٰ يتولَّىٰ السرائر.

ومن المسلم عند الله؟ هل يكفي أن نقول: المسلم هو من أتىٰ بأعمال الإسلام الظاهرة؟ الإتيان بأعمال الإسلام الظاهرة حصرًا مَن ليسوا بمسلمين، قال الله تعالىٰ عن أهل النفاق: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون].

فمن أتىٰ بأعمال الإسلام الظاهرة دون شيء في الباطل لا يكون بذلك مسلمًا وإن كان يكون عندنا نحن مسلمًا؛ لأنَّ لنا الظاهر، والله يتولَّىٰ السرائر، لكن من المسلم عند الله؟ الذي يأتي بأعمال الإسلام الظاهرة، وماذا؟ وعنده من الإيمان ما يصحِّح إسلامه، لأنه إذا لم يوجد عنده من الإيمان ما يصحِّح إسلامه لا ينتفع بأعماله الظاهرة كلِّها، ولا يستفيد منها جميعِها، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾[المائدة]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾[التوبة:٥٤]، فإذن: المسلم من أتىٰ بالعمل الظاهر وعنده من الإيمان ما يصحح إسلامه، ليس عنده تمكُّن في الإيمان وإنما عنده من الإيمان ما يصحح إسلامه، انظر الآية قال تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾، فإذن: هذا هو المسلم، المسلم من جاء بالعمل الظاهر شهد ألا إله إلا الله وأقام الصلاة، التزم

أعمال الإسلام الظاهرة وعنده من الإيمان ما يصحح إسلامه، فإذا تمكّن الإيمان من قلبه ورسخ في نفسه فإنه يرتقي عندئذ إلىٰ درجة الإيمان، فإذا ارتقىٰ في الإيمان وعلا شأنه فيه وبلغ أمره في عبادته لربه أنه يعبد الله كأنه يراه من كمال اتقانه وكما إجادته وكمال إحسانه في عبادته لربه فإنه يكون في درجة الإحسان الذين قال الله عنهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل]، فهم لهم معيَّة خاصة لا تكون لغيرهم.

فهذه هي الرتب الثلاثة لأهل الدِّين: رتبة الإسلام، ورتبة الإيمان، ورتبة الإحسان.

ثم من يتعلَّم ذلك من هذا الحديث يبدأ في مجاهدةٍ لنفسه واستعانةٍ بربِّه ليرتقي في هذه الدرجات وليعتلي في هذه المنازل، والتوفيق بيد الله تبارك وتعالىٰ، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة]، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾[الحجرات].

أحد السلف وهو الحسن البصري سُئل سؤالًا عن الإيمان وأجاب عنه جوابًا يفيدنا كثيرًا فيما تحدَّثنا عنه، قال له رجل: "أمؤمن أنت؟ **قال: الإيمان إيمانان:**

فإن كنتَ تسألني عمّن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾[الأنفال] فأرجو؛ يعني: أرجو أن أكون منهم.

وإن كنتَ تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فأنا مؤمن".

لكن إن تسأل عن الإيمان الكامل والإيمان التام فأرجو، وهذا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عملًا بقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم]، وهذه المسألة تعرف عند أهل العلم بالاستثناء في الإيمان، من سئل عن الإيمان: أمؤمن أنت؟ لا يزكِّي نفسه، وإنما يستثني يقول: أرجو، أو أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأن الإيمان يشمل الدِّين كله، ومن الذي يدّعي لنفسه أنه كمّل الدِّين؟! والإيمان هو المُتقبَّل عند الله، ومن الذي يدعي لنفسه أن أعماله متقبلة؟! فيستثني لا شكًّا في أصل إيمانه وإنما بُعدًا عن التَّزكية، وعلمًا منه بعدم الوفاء والتَّمام والكمال في الإتيان بأمور الإيمان ومسائله.

والحديث له صلة، نكتفي بهذا القدر، والله تعالىٰ أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.